- عنوان الكتاب : مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية
- المؤلـــف : د. عبد الله عبد الدائـم.
- الناشـــر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- سـنة النشـر : ١٩٩٥

عـــرض ونقـــد

بقلم الدكتور / محمود قمبر

أستاذ أصول التربية بجامعة قطر

١ - السياق العالمي لاستراتيجيات التربية :

١ - ١ إن وضع استراتيجية تـربوية عـربية كان أثـراً ونتيجة لحركة تـربوية عـالمية ، أحاطت بـأبعاد الأزمة الكبرى لنظم التربيـة في دول العالم المتقـدمة والنـامية وبـالـذات في عقد الستينيـات، واجتهـدت في صنع وإبـراز مفهوم جـديـد "الاستراتيجية" ، ذلك المفهـوم الذي فجّر أفكـاراً إصلاحية ، وسيـاسات تطويرية ، وإجراءات تنفيذيـة تعمل لتحرير التربية من أزمتها ، والتقدم بها نحو أهداف مرغوبة ممكنة التحقيق.

١ - ٢ وجاءت البـداية مع عقـد مؤتمر دولي بمـدينة وليامـز برج في ولايـة فيرجينيا بـالـولايـات المتحـدة الأمريكيـة (أكتـوبـر ١٩٦٧) ، بمبـادرة من الـرئيس الأمريكي جونسون والذي كان معنيـاً بصفة شخصية بقضية التربية، منذ أن كان في مطلع شبابه معلماً بالمرحلة الابتدائية . وكانت ورقة العمل الأساسية من إعداد فيليب كومـز ، الذي كان يشغل وقتها وظيفة مديـر المعهد الدولي للتخطيط التربـوي بـبـاريـس . ومن طـروحـات ورقتـه، ومـا أثـارتـه من مناقشات ثرة لمائة وخمسين عالماً ومسئولاً من القادة والمربين الذين جاءوا من جنبات العـالم، صدر كتابـه المشهور "أزمـة التعليم في عالمنا المعـاصر" سنة ١٩٦٨ * وقد استخدم منهجاً جديداً "تحليل النظم" لتشخيص وعلاج هذه

---

* ف . كومز ، أزمة التعليم في عالمنا المعاصر ، (ترجمة د. أحمد خيري كاظم ، د. جابر عبد الحميد جابر) ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٧٨ ، (الطبعة الأولى ١٩٧١) ، ٣٢٤ ص.

الأزمة ، حيث نظر إلى التعليم كنظام متفاعل في كل عناصره ، له مدخلات ومخرجات وآليات عمل تتوسطهما : تشتغل بالمدخلات وتؤثر في تشكيل المخرجات.

وقد خضع هذا المنهج لفرضية أولية تؤمن بأن معالجة الأزمة لا تكمن في تقديم حلول منعزلة أو بسيطة كزيادة التمويل أو اختيار الإداريين ، أو إعداد المعلمين ، وإنما تتمثل أصلاً في "صياغة وتشكيل استراتيجيات قومية وعالمية متوازنة ، تعد بعناية لتلائم المكونات الأساسية للأزمة" *.

وقدم هذه الاستراتيجية بصفتها "إطاراً لسياسة تعليمية شاملة، لها أهداف ووسائل وخطط زمنية ، وتقوم على أسس موضوعية تربط بين العوامل الكبرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي تنعكس بتأثيراتها في حقل التربية فكراً وعملاً ، محذراً من مخاطر التصلب والجمود ، وداعياً إلى المرونة والتكيف والمراجعة والتعديل بشكل مستمر تبعاً لما تفرضه المستجدات العصرية.

وأراد لاستراتيجية التربية أن تعمل في إطار استراتيجية التنمية القومية الشاملة. وقدم دعوته إلى كل الدول للبدء في وضع استراتيجيات وطنية تضطلع بمهام تطوير نظمها التعليمية **.

١ - ٣ وتلقفت منظمة اليونسكو هذه الدعوة ، وشكلت لجنة دولية لوضع استراتيجية عامة تهتدي بها الدول الأعضاء في إعداد استراتيجياتها القومية أو القطرية أو المحلية. وخرج بهذه الاستراتيجية تقرير إدجار فور - مقرر اللجنة في عام ١٩٧٢ في كتاب مشهور: "تعلم لتكون" ***. وقد قدم الكتاب المعايير والمبادىء والخطوط العريضة التي يفيد الأخذ بها في مجال بناء الاستراتيجيات التربوية.

---

* المرجع السابق ، ص ٢٢٣.

** المرجع السابق : الفصل السابع، "نحو استراتيجية جديدة" ص ص ٢٢٣ - ٢٣٠ ، "والعناصر المقترحة لاستراتيجية تعليمية إيجابية" ص ص ٢٣٠ - ٢٣٧.

*** هذه هي الترجمة العربية للعنوان الإنجليزي Learning to be ، وللعنوان الفرنسي Apprendre à être .

١ - ٤ ولم تتأخر الدول العربية في الاستجابة لهذه الدعوة، إذ سرعان ما أصدر مؤتمر وزراء التربية العرب، المنعقد بصنعاء في نفس السنة (١٩٧٢) قراراً بتشكيل لجنة (على غرار لجنة إدجار فور) من كبار التربويين العرب لوضع استراتيجية تطوير التربية العربية. وشكلت بالفعل هذه اللجنة التي رأسها الدكتور محمد أحمد الشريف، وزير التربية الليبي، وأنهت عملها في ست سنوات، حيث وافق المؤتمر غير العادي الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٧٨) بالخرطوم، على تقرير الاستراتيجية. ونشطت المنظمة في عقد ندوات ولقاءات واجتمعات لوكلاء وزارات التربية والتعليم وللخبراء المسئولين والتربويين على الصعيد العربي تناولت دراسة سبل ووسائل تنفيذ الاستراتيجية.

١ - ٥ ومن جانبها، نهضت معظم الدول العربية بتشكيل لجان تربوية لصياغة استراتيجيات قطرية في ضوء المعطيات التي قدمتها الاستراتيجية القومية للتربية العربية.

١ - ٦ وهكذا أصبحت الاستراتيجية مفهوماً يعبر عن حركة عالمية وعربية، تبصر بتحديات العصر، التي يجب أن تواجهها التربية بعلم وتخطيط واقتدار لصنع مستقبلات أفضل تنعم بحياتها الأجيال القادمة. وقامت ندوات ومؤتمرات عربية تساند هذا المفهوم، وتسعى لتأصيله، منها:

- ندوة بغداد (١٩٧٩) عن "دور التعليم في الوحدة العربية" نظمها مركز دراسات الوحدة العربية.

- ندوة اليوندباس الإقليمية حول "مستقبل التعليم في البلدان العربية خلال العقدين (١٩٨١ - ٢٠٠٠)"، بيروت ٧ - ٩ أكتوبر ١٩٨٠.

- مشروع المستقبلات العربية البديلة ٨٠ - ١٩٨٥، نهضت به جامعة الأمم المتحدة بطوكيو، وفي مقدمته التربية.

- مؤتمر "نظرية عربية للتربية"، أقامه اتحاد التربويين العرب في بغداد ١٩٨٣.

- مؤتمر "تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين" ، عقده منتدى الفكر العربي بعمان ١٩٩٠ .

١ - ٧ وتحت مظلة هذه الحركة ، وتمشياً مع ضرورات التطوير التربوي بما يستجيب للمتغيرات الدولية والإقليمية ، اضطلعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمسئولية مراجعة استراتيجيتها التربوية ، بعد أن أقر مؤتمرها العام (١٩٩٠) هذه المراجعة ، ومنحها الأولوية بين مشروعات الدورة المالية ١٩٩٠ - ١٩٩١ ، وتشكل فريق رباعي ، وكلت إليه مهمة المراجعة ، مستفيداً من أربع عشرة دراسة بحثية أنجزها (بتكليف من المنظمة) متخصصون في جوانب تتصل بمحاور أربعة ، هي :

- تحديات العصر ومتضمناته التربوية .
- الثورة العلمية والمعلوماتية .
- اتجاهات تطوير التربية العربية .
- مستقبل التعليم في الوطن العربي .

لكن الفريق - بعد عدة اجتماعات - لم ينجز مهمته لأسباب عملية أثر فيها الوضع المالي ، فأسندت المنظمة إلى الخبير العربي / الدولي البارز الدكتور عبد الله عبد الدائم مهمة وضع تقرير يتسم بالإيجاز والشمول يغطي أهم جوانب التجديد في الفكر والعمل لاستراتيجية تربوية عصرية ، فكان هذا الكتاب .

٢ - البنية الفكرية لكتاب المراجعة :

٢ - ١ *مقدمات الكتاب*

٢ - ١ - ١ تضمن الكتاب ستة فصول ، مهد لها بتصدير ومدخل ، بالإضافة إلى كلمة تقديم كتبها الأستاذ محمد الميلي إبراهيم المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مبرراً فيها أهمية هذه المراجعة لاستراتيجية التربية العربية التي مضى على وضعها زمن تجاوز الخمسة عشر عاماً ، استجدت خلالها

ظواهر عديدة وتحديات جديدة على المستويين الدولي والعربي، فكان لابد من مراجعة تحفل بوجهات نظر متسقة تعني بتقويم الاستراتيجية وتجديدها.

٢ - ١ - ٢ أما عن تصدير الكتاب فقد عبر المؤلف عن اعتقاده بصلاحية وصدق ما جاء في تقرير الاستراتيجية الأم وحتى يومنا هذا. ومع ذلك فقد رأى أن بالتقرير جوانب تحتاج أكثر من سواها إلى التجديد: التحدي والصمود - واقع التربية: الكمي والكيفي - عالم اليوم وعالم الغد في ضوء التغيرات السريعة والمتلاحقة.

٢ - ١ - ٣ وقد أكد أن عمله في كتاب المراجعة لا يمس التطوير ولا التقويم، فالتطوير تجديد، وهو - كما يقول - "مطلب زائد لا تدعو الحاجه إليه، والتقويم غير ممكن في غياب تطبيق واقعي للاستراتيجية".

وكان الخيار الوحيد الذي رآه لازماً وممكنا في مراجعة الاستراتيجية، يتمثل في شكل تحليل جديد ورؤية جديدة ونظرة متكاملة تتسق مع إطار الخطة البنيوية والهدفية والوظيفية للاستراتيجية. كما كشف عن حدود المراجعة التي تقف عند أمهات المسائل وأبرز الجدائد الحديثة والإبانة عن أساسيات الواقع العربي التربوي دون تطويل. وذكر في التصدير عناوين الدراسات التي أنجزت خصيصاً لمشروع المراجعة وقد وجد فيها المؤلف "بعض العون، لأن معظمها دراسات أكاديمية مجردة".

٢ - ١ - ٤ وفيما يتصل بدواعي المراجعة، حدد المؤلف أهمها في مدخل الكتاب، ومنها:

- ما حدث من تغير انفجاري - بعد كتابة تقرير الاستراتيجية - في السياسات، وفي العلم والتقانة، وفي المعلوماتية.

- ما مرّ بالوطن العربي من زلازل وهزات كانت لها تأثيرات بالغة على كافة الأصعدة.

- انفعاله بما يجري حول العالم العربي الذي أصبح شبه عاجز أمام حضارة عالمية شاملة.

- ما يثار من تساؤلات وشكوك حول التربية ودورها ومدى نجاح أو فشل التربية في تحقيق أهدافها الواسعة، وعلة تقصير العمل التربوي في مقابل الفكر التربوي وينهي ذلك بتساؤل جوهري :

"هل في وسع التربية أصلاً أن تفعل ما لا يفعله سواها ، فتغير المجتمع الذي ولدها ، وتؤثر تأثيراً مباشراً في العوامل الأخرى التي تصنع المجتمع، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سوى ذلك ؟" .
والجواب هو ما حاوله كتاب المراجعة في فصوله الستة أن يرد به على هذا السؤال.

٢ - ٢ الفصل الأول : الواقع العالمي وآفاقه المستقبلية وانعكاساته على الواقع العربي وتطلعاته.

٢ - ٢ - ١ يعالج المؤلف في هذا الفصل ما استجد من أحداث وتغيرات على الصعيد العالمي، ولم يذكرها التقرير الأساسي الذي كان قد قدم وصفاً مفصلاً "لعالم اليوم وعالم الغد" قبل انتهاء الحرب الباردة . ومن هذه المستجدات :

- نشوء وذيوع اقتصاد عالمي شامل ، وسيطرة الشركات العملاقة متعددة الجنسية تعمل عبر القارات.
- قوة التقانة ، وبالذات التقانة البيولوجية، وما أحدثته من إنجازات بالغة التأثير.
- ثورة المعلومات والاتصال، والثورة المالية والاحتكارات المؤسسية العالمية.
- مشكلات التلوث والمخاطر البيئية.

٢ - ٣ الفصل الثاني : الواقع العربي حاضراً ومستقبلاً وانعكاساته على مسيرة التربية.

٢ - ٣ - ١ وفيه يتناول المؤلف أهمية فحص جوانب الواقع العربي واستشراف اتجاهات المستقبل، مركزاً على مشكلة زيادة السكان وما يرتبط بها من نواح إيجابية وسلبية، ومشكلة ضعف البنية الاقتصادية : زراعة وصناعة وتصديراً ، وتفاقم المديونية، وزيادة التبعية لغياب القدرة العلمية والتقانة العصرية المتقدمة، ولضعف الثقافة وما تشهده من قيم مضادة للتنمية ، واتجاهات فكرية متصارعة، ولسيادة النظام العلائقي للأسرة والمجتمع بصفاته السلطوية ، والمحافظة التقليدية .

ويقرر أخيراً بأن هذا الواقع العربي المتردي يستصرخ الواقع التربوي لتقديم الحلول .

٢ - ٤ الفصل الثالث : واقع التربية في الوطن العربي ومشكلاته.

٢ - ٤ - ١ تناول المؤلف جانب التطور الكمي في التعليم ، وقدم بيانات إحصائية حديثة عن السكان والأميين وأعداد المعلمين والمتعلمين في المراحل الدراسية ، وحجم الإنفاقات التعليمية . كما لجأ إلى بعض الإسقاطات التعليمية لعام ٢٠٠٠ ولعام ٢٠٢٥ ، والتي توحي بالقصور في مجالات محو الأمية ، وحدود التسجيل العام في المدارس والجامعات، ومعدلات نموه، مما يدعو إلى اتخاذ سياسات وتدابير جادة لتجنب أو لتقليل الآثار السلبية لهذا القصور .

٢ - ٤ - ٢ كما تعرض المؤلف للعناصر التعليمية في جانبها الكيفي . . . . . .

- فوقف وقفة نقدية عجلى مع الأهداف العامة للتربية ، منددا بغياب فلسفة تربوية واجتماعية تكون إطاراً مرجعياً لها ، وبغياب آليات إجرائية ذات فاعلية وظيفية .
- كما وقف مع المناهج الدراسية مقراً بعدم كفاية الإصلاحات الجزئية، وباتساع الثغرات النوعية التي تقلل من كفايتها التربوية .

- وأخذ على الإدارة التربوية قصور الإصلاح التقليدي وبطء التطور الحادث فيها، داعياً إلى الأخذ بالتنظيمات والتقنيات الإدارية الحديثة.

- وشهد بوجود تطور ملموس في مجال إعداد المعلمين وتدريبهم، ولكنه تطور دون المستوى المطلوب.

- كما عاب على نظم الامتحانات والتقويم تقليديتها التي تقيس الحفظ والتحصيل الشكلي، وتغلب عليها الصفة الكتابية الاسترجاعية.

٢ - ٤ - ٣ ويتناول المؤلف أخيراً وعود التربية وحدودها، مبيناً طبيعة الاتجاهات المتعارضة حول دور التربية ومدى فاعليته في التغيير والتطوير، مؤمناً بأن واجب التربية أن تخضع للمجتمع ملبية لحاجاته، مسهمة في حل مشكلاته السكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتقانية.

٢ - ٥ الفصل الرابع : المشكلات الأساسية التي تعاني منها التربية العربية وسبل معالجتها - عناصر الاستراتيجية.

٢ - ٥ - ١ وقف المؤلف مرة أخرى وقفة تحليلية مع الفلسفة التربوية والأهداف والسياسة التعليمية، مبيناً أن افتقادنا لفلسفة تربوية عربية أثر في خلخلة السياسات التعليمية، ومثل نقصاً في تكامل الاستراتيجية. ومع إقراره بوجود أهداف تربوية إلا أنها في أدبياتها النظرية تعاني من عزلتها عن الواقع وعن إجرائية الصياغة وفنية التدريس.

٢ - ٥ - ٢ وفي مجال تطوير التخطيط التربوي، أكد المؤلف على أهمية الربط علمياً بين التربية والتنمية والعمالة. كما وقف مع أشكال الإنفاق التعليمي وتبايناته في العالم العربي من حيث الوفرة، والتأرجح بين الوفرة والعجز، والمعاناة الشديدة في مجال التمويل، داعياً إلى إمكانية تعليم جيد رخيص الكلفة، وأهمية إنشاء مدرسة غير مكلفة.

٢ - ٥ - ٣ كما تعرض المؤلف لمراحل التعليم ، والجهود المبذولة في محو الأمية والتعليم الإلزامي ، مؤملاً في مضاعفة هذه الجهود وتدعيم السياسات والمؤسسات التي تعمل لتحقيق أهداف محو الأمية في أوساط الكبار، ونشر تعليم إلزامي طويل الأجل، يستوعب كافة الملزمين لسد منابع الأمية وتحقيق أولويات التنمية القومية . ووقف مع التجارب العالمية الخاصة بالتعليم الثانوي وتشعيبه ، والتي تعمل مدارسه كمؤسسات تعليم وإعداد وتدريب مفتوحة القنوات والمخارج، والتي تتسم بالمرونة والتنوع في النظم والبنى، لكنها جميعاً تأخذ بالتجديد المستمر وبالربط الوظيفي بين التعليم والعمل. وحين يقارن تعليمنا الثانوي بغيره في الدول المتقدمة يرى كثيراً من نواحي القصور التقليدية، ويدعو إلى الربط بين التعليم الثانوي العام والمهني والتقني في مدرسة واحدة.

وفيما يتصل بالتعليم العالي يرى المؤلف أهمية تطوير هذا التعليم ليرتفع إلى مستوى التطورات الحادثة في مجال العلم والتقانة ، وبالذات تقنيات الحاسبات الإلكترونية ، والتقانة الفضائية ، وتقانة سبر أغوار المحيطات، والتقانة البيولوجية . ولن يكون هذا التطوير ممكنا وفعالاً إلا بمراجعة أصولية لمنهجية اللوائح والنظم المؤسسية ، والأخذ بالصيغ الجديدة في التأسيس والتجهيز والتسيير ، والإعداد للتخصصات العريضة متعددة الأوجه ، والعناية بالتقنيات التربوية المتقدمة، وترقية المهام البحثية والاهتمام بتنمية الكوادر العلمية المؤهلة ومعالجة بطالة المثقفين ، ومراعاة التطور في نوعية العمالة والإنتاجية ، وتدعيم أشكال التعليم الجامعي غير النظامية ، وربط التربية بالتنمية، وبالعلم والتقانة، وبالثقافة والقيم ، مع الإفادة مما يقدمه التراث والعصر في هذا المجال.

٢ - ٦ الفصل الخامس : خلاصة التقرير ، عود على بدء .

٢ - ٦ - ١ يكثف المؤلف المادة التي بسطها بطول صفحات الفصول الأربعة في شكل معالم وسمات وخطوط عريضة تتناول :

تحليل الواقع العربي ، وتشخيص نواحي القوة والضعف، والوقوف على العوامل المؤثرة في نمو التعليم كمياً وكيفياً ، وفي إطار هذا التحليل يبرز أهم القضايا التربوية على النحو التالي :

- وضع فلسفة تربوية تحدد أهدافها انطلاقاً من واقع حي ، ويشترك في تحديدها ممثلون للقطاعات الحيوية في المجتمع .

- تطوير التخطيط التربوي في ارتباطه بالتخطيط القومي للتنمية الشاملة، وحاجات العمل ، وتكامل الأشكال النظامية وغير النظامية في التعليم .

- ترشيد الإنفاق دون المساس بجودة التعليم ، وتدعيم المشاركة الشعبية في التمويل والتعليم، والبحث عن صيغ عملية رشيدة لخفض الإنفاق والكلفة في التعليم .

- أولوية العمل في محو الأمية بكل الأساليب الممكنة بما فيها الحملات الشاملة مع استيعاب كافة الملزمين، وتنمية صيغة التعليم الأساسي وصولاً إلى خلق مجتمع متعلم في كل جماهيره يمتلك أساسيات المعرفة والثقافة ومهارات العمل وقيم السلوك .

- العناية بالتعليم الثانوي وتشعيبه وتفريعه وتكامله أكاديمياً ومهنياً وتقنياً ، وأهمية مشاركة المؤسسات الصناعية للسلطات التعليمية الحكومية والأهلية .

- التوسع في التعليم العالي وتطويره في مجال العلوم الحديثة والتخصصات العريضة ، وربطه بالعلم والتقانة ، بالتنمية والعمل ، وتعزيز وظائفه في نشر المعرفة وترقية البحث وخدمة المجتمع .

- التكامل بين التعليم والثقافة القومية في ضوء المعطيات التراثية والعصرية ، ومتطلبات الحاضر والمستقبل ، مع العناية باللغة العربية والثقافة العالمية .

٢ - ٧ الفصل السادس : سبل إنفاذ الاستراتيجية :

٢ - ٧ - ١ يركز المؤلف على بعض الإجراءات العملية الضرورية لإنفاذ وتحقيق مرامي وأهداف الاستراتيجية ، وذلك على صعيدين :

- صعيد قطري ، حيث تعبأ جهود كل دولة من أجل التعريف بالاستراتيجية أهدافاً ووسائل وبدائل، مع إنشاء جهاز أعلى للتربية يضم ممثلين للقطاعات الحيوية في الدولة والمعنية بالتنمية والتربية - وتحويل بعض عناصر الاستراتيجية إلى برامج ومشروعات - وإنشاء إدارة لتطوير التربية - ووضع جدول زمني لإنفاذ الاستراتيجية .

- صعيد قومي عربي شامل ، وللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدور الأساسي حيث يتوجب عليها عقد مؤتمرات فترية (كل أربع سنوات) لمتابعة تنفيذ الاستراتيجية - وإنشاء صندوق عربي لتمويل المشروعات الأساسية الشاملة - وتدعيم الجوانب أو العناصر الفعالة على الصعيد التربوي العربي ، كتحديث الإدارة ، وتطوير التخطيط ، وتقوية البنى القاعدية للبحث .

٣ - نقد الكتاب :

٣ - ١ في أحيان كثيرة ترتبط قيمة الكتاب بشهرة مؤلفه . والدكتور عبد الله عبد الدائم من كبار التربويين العرب ، ويتميز بإنتاجه العلمي المتنوع . كما أن له خبرة دولية وسمعة عالية بحكم موقعه الوظيفي لسنوات طويلة في منظمة اليونسكو بباريس ... ولمكانته هذه ، فقد أنصفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تكليفه بمهمة مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية .

ولا نغمط المؤلف حقه فيما بذله من جهد مشكور مكنّه من الوقوف على تفاصيل المحتوى الضخم لتقرير الاستراتيجية الأم ، وما فيه من ثغرات أحدثتها المتغيرات الدولية والعربية وكيفية معالجتها مستفيداً من عمق اطلاعه على أدبيات التربية العالمية والمتعلقة بالفلسفات والنظريات والسياسات وفنيات الإدارة والتخطيط والبرمجة وطرائق التدريس والتقويم والتقنيات التعليمية ومنهجيات البحوث التربوية ، وإعداد المعلمين وتجارب الدول المتقدمة في تحديث التعليم بكل أشكاله النظامية وغير النظامية . كما أفاد من قراءاته لأبحاث المتخصصين العرب الذين كتبوا في موضوعات المحاور الأساسية لمشروع المراجعة ، وظهرت ثمرة ذلك كله في هذا الكتاب الشامل والمركز .

٣ - ٢ وقد جاء هذا العمل في المراجعة من جنس العمل في صياغة التقرير الأساسي ويحمل نفس خصائصه في التأليف :

- استعراض أدبي ، وصفي ، تقريري للمتغيرات العالمية ، وللواقع العربي المتأثر بهذه المتغيرات ، وما تعكسه على التربية من مطالب وتحديات .
- مسح إحصائي في أطر مجملة لبعض الأبعاد الكمية في التعليم العربي ومقارنة واقعها بالتطورات المحتملة بحسب الإسقاطات والرؤى المستقبلية وما تستدعيه من تدابير عملية .
- تشخيص نواحي القصور الكيفي في كل ما يتصل بالنظم التعليمية العربية ، ولكن في لغة تعميمية وتجريدية أحياناً ، في مجالات الإدارة والتخطيط والمناهج محتوى وتدريساً وتقويماً .
- استلهام إيجابيات التطور التربوي العالمي المعاصر لتحسين نوعية التعليم العربي .

٣ - ٣ والكتاب بهذا الأسلوب البنائي أو التأليفي ، أصبح مثل التقرير الأساسي : "كتاب التربية الجامع" لم يغادر في التربية صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها . وتتمثل قيمته العلمية فيما قدمه من ثروة فكرية شاملة لكل عناصر النظم التعليمية ، هي خلاصة منتقاة ومصفاة لعشرات الكتب والدراسات التي تناولتها على وجه التخصيص والتفصيل بمنهجيات تاريخية أو وصفية أو تجريبية ومن مداخل فلسفية واجتماعية وسيكلوجية وبيداجوجية .

٣ - ٤ ومع ذلك فالقيمة الاستراتيجية مفقودة في هـذا الكتاب ... إن القارىء لا يعثر فيه على بنية عضوية لاستراتيجية حركية تحدد تماماً أهدافها وأساليبها وفنيات توظيفها وخطوات سيرها في طريق تحيط به معوقات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية معروفة . لقد غامت هذه البنية وتميعت وسط ركام معلوماتي ، وتاهت بين سبل متفرقة تفرعت مع كل موضوع يتصل بالتعليم . إن الإستراتيجية في جوهرها تجميع لا تفريع ، هي فن الاختيار من بدائل ، هي فن صناعة الممكن الذي يحتكم إلى الواقع المعاين والمعاش، ولا يشطح مع الأماني أو الأحلام أو المحاكاة والاستعارة . هي فن تحويل السياسة التعليمية إلى قرارات مشروطة بظروف زمانها ومكانها ، وتسليكها في مسارات محكومة موصلة في وضوح واستقامة إلى غاياتها بيسر وفاعلية، إن أحد تعريفات الاستراتيجية الذي يرجع بها إلى أصلها اللغوي هو "الصراط المستقيم" .

وللأسف فإن الإستراتيجية سواء تلك التي جاءت في التقرير الأساسي أم تلك التي عرضها تقرير المراجعة ، ليست من هذا النوع المخروط الذي يلبس نظامه التعليمي وينحبك تماماً على مقاسه ... إنها استراتيجية فضفاضة تصلح لأي نظام تعليمي لا تعرف هويته ولا يتفرد بذاتيته *.

كما أن الحلول التي حملتها الاستراتيجية لم تأت نتيجة تحليل لواقع عربي يختلف من قطر لقطر من حيث الأحجام الكمية والصفات النوعية ، بل كانت الحلول نقولاً مستعارة في كل دقائقها وحداثتها من أدبيات التربية الغربية وتجاربها العصرية . ومادامت القيمة العلمية محصورة في ثروة معرفية نظرية، فيستحسن نشر الدراسات التي كتبها المتخصصون لمشروع المراجعة للإفادة منها على أوسع نطاق ممكن في أوساط المربين والمعنيين بقضايا التربية والتنمية البشرية، على غرار ما فعله منتدى الفكر العربي في مؤتمره عن تعليم الأمة العربية الذي أشرنا إليه من قبل ، وقد نشر عدداً كبيراً من الدراسات التي أنجزت خصيصاً لهذا المؤتمر .

---

* إنها أشبه باستراتيجية تنمية التعليم في دول العالم الثالث على النحو الذي قدمه جاك حلاق وإن ركز على استراتيجية الأولويات بحسب الإمكانات وتفريد الحالات ، أنظر : جاك حلاق ، الاستثمار في المستقبل، تحديد الأولويات التعليمية في العالم النامي ، (مترجم) ، الدوحة ، مركز البحوث التربوية بجامعة قطر ، واليونديباس ، ١٩٩٢ ، ٤٠٠ ص.

٣ - ٥ ومما يؤخذ كذلك على هذا النمط التأليفي سواء لتقرير المراجعة أو لتقرير الاستراتيجية الأم، أنه يتبنى استراتيجية التجديد الشامل والمتزامن ، إذ أن كل شيء في نظمنا التعليمية متهرىء وتقليدي وبحاجة إلى تغيير وتطوير . وهذا ما يفسر علة التجاهل لهذه الاستراتيجية المكلفة والمخيفة من قبل السلطات التي تأخذ في نظمها التعليمية باستراتيجية الإصلاح الخطى Linéaire ، والتي تعني بإدخال إصلاحات جزئية يسهل إدماجها في بنية النظام القائم الذي يتحسن في نقلات نوعية صغيرة ، سهلة وميسورة في خط متواصل ، يجاري الإمكانات المادية والفنية والبشرية والظروف المحيطة والسياقات التي يتحرك فيها .

٣ - ٦ وبديلاً لهذه الاستراتيجية فإننا ندعو إلى استراتيجية المراحل في تجديد وتطوير التعليم ، وتستند إلى المقومات الأساسية الآتية :

- تصور كلي شامل .
- البدء بأحد المداخل .
- التحرك على مراحل .
- تقويم متواصل .

وهذا النمط الاستراتيجي هو الأقرب إلى مزاج السلطة وطبيعة الحكم والإدارة في بلادنا . فالإصلاح أو التغيير - تربوياً وغير تربوي - لا يمشي بطبيعة مؤسسية ، تنبثق به قرارات علمية مدروسة ، وتحدده خطط ملزمة لها ثبات واحترام ورسوخ، وإنما يمشي بطبيعة سياسية متقلبة ، وتخرج به قرارات سلطوية تخضع لاعتبارات وقتية أبعد ما تكون في كثير من الأحيان عن العلمية والموضوعية .

٤ - كلمة أخيرة

٤ - ١ يؤسفني في النهاية أن أقرر بأن مصير تقرير المراجعة لاستراتيجية تطوير التربية العربية لن يكون أفضل من مصير التقرير الأساسي لهذه الاستراتيجية التي كلفت الكثير جهداً ومالاً وأعمالاً ... ولعل الوقت قد حان لكي تضع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حداً لهذا المشروع الذي يفتقد شروط نجاحه ... ولتترك

موضوع الاستراتيجية للاستراتيجيين وللمخططين المسئولين في الدول العربية وقد تملكوا خبرات أكاديمية ووظيفية وفرتها لهم المنظمة مشكورة بكل ما قدمته من دراسات وأعمال.

٤ - ٢ وخير لها أن تتعاون مع اليوندباس في تدعيم شبكة التجديدات التربوية وتنفيذ تجارب قطرية ناجحة يمكن الاهتداء بها عملياً في مشروعات الإصلاح والتطوير.